١٧ مايو ٢٠٢١

المجرى المحلم

عصام صفي الدين

حوار مع أقصد أخي الأكبر أ.د. محمد زكي حواس

بفضل من الله إتملأت رحلة حياتي، حتى الآن، بمعرفة كم هائل من الشخصيات، ذات الخبرة والشهرة والمكانة، من جانب كم آخر من البسطاء، وفي مجالات شتى، ما بين عمارة وفنون وأدب، وموسيقى وسينما ومسرح وآثار وحرف يدوية، وفنون شعبية..... فازدادت برصيد ثقافة وعلماً ومتعة وخبرة، وتوافرت معي الذكريات، ما بين أحاديث ومواقف، ومواعيد وأعمال، أو مؤازرات وتدعيم وخير، بل وعلم نظري وتطبيقي، ولكل منهم عندي مكانته الخاصة، أو فضله الخاص.

وحين أحب أن أكتب عن أحدهم أجد سيلاً من الخواطر التي قد تصلح لتكون كتاباً ضخماً جداً إن استطعت أن أجد وقتاً للتركيز والإنجاز، لكني تبدأ بالخواطر غير المرتبة والتي لا تخلو بالنسبة لي من مفاتيح للتوصيفات وتميزات إن كنت أرغب في ضبطها لتكون مرجعاً موجزاً عن هذه الشخصية أو تلك.

ومع ذكرى يوم ١٦ مايو أتذكر عيد ميلاد أخي الكبير أ.د. محمد زكي حواس. حيث ذكرى ميلاده في ١٦ مايو ١٩٢٩، أي يكبرني بما حول إثني عشر عاماً، وإن كان هو قد أشعرني بالصداقة وكأننا من سن واحدة تقريباً، حيث عرفته من خلال أخي أ.د. عبد الباقي إبراهيم حول عام ١٩٥٩ تقريباً، وكنت ليلتئذ أتحدث مع كبار وأنا طالب، إلا أنني سعدت للدكتور عبد الباقي تضمنت الضمامتي وتأديبي لبعض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بما كنت أرسمه بدوياً من حواري وأزقة الأحياء القديمة، وطموحاتي المستقبلية، فإذا بي أجد د. حوامد يحنو على مشاعري تشجيعاً قائلاً: (إنت حا يبقى لك مستقبل كويس إن استمريت على نشاطك وطريقتك مش بس في تنفيذ النماذج وإنما في شغلك بعد تخرجك) ما فقدت إلى نزلي سعيداً بمثل هذا الكلام، ومن أساتذة بعين شمس لطالب بمدارة الفنون الجميلة مازال في أولى خطواته، ما يحبو ثم يسعى، متوخياً القدوة.

ثم توالت مقابلاتي معه، سواء لأعمال النماذج المجسمة أو أعمال معارض، بعد عام ١٩٦٥، أو في جلسات في مقهى ريش بوسط البلد، وأعطاني من اهتمامه كماً "كبيراً" مشتركاً في ذلك مع من عرفتهم من هندسة عين شمس ما بين د. عبد الباقي ود. يحيى عمير ود. أحمد كمال عبد الفتاح ود. عبد الله عبد العزيز.

وزاد اهتمامه وتشجيعه أيضاً بعد معرضي في نوفمبر ١٩٦٩ بعين شمس على الطلبة، وكانت عن دراستي للقاهرة التاريخية بمركز تخطيط القاهرة الكبرى، وكان تعليقه عليها أنها رؤية جديدة تستحق الإعجاب، وتنصحني بالاستمرار، وليس الاكتفاء بدراسة وصفية تحليلية من معرض القاهرة الكبرى (٤٥ لوحة).

وكان د. حوامد من أكثر المؤيدين لانتدابي بعين شمس حوالي ١٩٧٣ أو ١٩٧٤ حين إقترح ذلك أخي المرحوم د. عبد الله عبد العزيز مطيعاً، ولكن الظروف حالت دون ذلك كاستمرار، بعد ما كنت أذهب متوطعاً مع د. عبد الله.

ولكني لن أنسى موعدنا في مقر شركة مدينة نصر أمام الباب ثم بعيداً حال ونحن ننصرف إنتظرني عشر دقائق، وظللت منتظراً أكثر من ساعة، فقد نسي أن عصام ينتظر حين كان خارجاً في أحد أيام ١٩٧٦، معتذراً ما بابتسامة وتواضعه الجميل، التي أنستني وقفتي منتظراً.

ولا أنسى زياراتي له في المكتب المشترك مع المعماري جمال أمين الذي

CamScanner الممسوحة ضوئيا بـ

كان يشغل مدير الإدارة الهندسية بهيئة المعارض عند زواجه سنوات الستينيات وذلك بالعمارة بميدان لاظوغلي، وأحيانا كانت تعقب الزيارة احتفاء بهما معهما إلى شرفة العمارة بالميدان، حيث الأحاديث الجميلة والنكات والمرح، فهو كان يحب البهجة والمزاح والمجاملة، خاصة في وجود شاب مبتدئ، مثلي شعورا منه بواجب التشجيع والتشجيع لمن يتعامل معي بحب. (والفاتورة للمشروبات كانت دائما على حسابه هو لأنه كان كريما ومضيافا".

وشاء الله أن يكون من بين طلبتي عمرو حواس (رحمه الله) ابن أخي الدكتور حواس، وذلك بقسم عمارة هندسة شبرا، فوجدت نفسي محرجا" منه قليلا حين عرفت بالصلة، وسألته (هل تعرض على الدكتور حواس أي شيء - من بحوثي وتدريباتي... فأجابني طبعا بل أمرضها وأنا سعيد بها وأريحني أنا أبلغك أن الوالد معجب بها جدا ويمدح فيك دائما).....

ثم فوجئت بأخي الدكتور حواس أنه من بين الحاضرين في ندوة ومعرض طابع المدن المصرية عام ١٩٨٠، الذي تم في مقر قاعة الجمعية الجغرافية وقد أثنى كثيرا على دراستي بلوحاتي المعروضة بعنوان (التأثير الأوردي على عمارة وسط المدينة) وأشاد بها وبحديثي مع المرحوم بدر الدين أبو غازي على المنصة حينما جاء دوري بالندوة للحديث!

لكن المفاجأة الأكبر لأخي هي ما قد وجدته أنه من تعليق دقيق على بحثي قدمته بجمعية المهندسين المصرية في يناير ١٩٨٦ بعنوان القاهرة بين النظرة والفكرة والخطة، إذ وجدته متذكرا كافة الشرائح التي عرضتها، وأثنى على الدراسة والبحث قرة، مما أكد لي أنه يدقق في مسئولية الحكم والتعليق، وذكر الإيجابيات قبل السلبيات. وعرفت أنه كذلك في تعامله مع طلبته دائما.

وقد أهداني قبلها وبعدها بعضا من كتبه أو أبحاثه مثل كتيب عن تخطيط المناطق الصناعية، وكتاب فن البناء المعاصر، وملف لجنة العمارة بنقابة المهندسين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحين كنت أحاضر منتدبا في مادة تخطيط المدن والتصميم العمراني بقسم عمارة الفنون الجميلة منذ سنة ١٩٧٠ وحتى أواخر الثمانينيات، قال لي في إحدى المناقشات وكنت أشعد بها، (خلي بالك إن المفروض تقدر للطلبة أيضا كلاما عن معايير التقدير التخطيطي والعمراني للمدن والمدن، والتي من ضمنها أطول الطرق، ومواصفاتها القياسية تبعاً لوظائفها، فكانت فعلا ضمن ما أتحدث عنه، وكان تفسيري لذلك أن د. هواس كان قد درس التخطيط دراسة واعية في رسالته للدكتوراه من سويسرا وتأثره في ذلك بالألمان والقرب الألماني عليها وجوارا". وحيث كان من بين من درسوا هناك أيضا ود. ضحى عزيز، سواء في الدقة والحسم والعلم والعمارة والتخطيط كلا من د. سيد كريم، د. عبد الله عبد العزيز عطية، د. أحمد كمال عبد الفتاح على سبيل المثال لا الحصر.

وعند سنوات منتصف السبعينيات، ومع معاينته للكثير مما كنت أقوم به من نماذج للمواقع والمدن الجديدة وقتها، فكنت أدون من خلالك أيضا وبتوصية من أ.ضحى بكم بدراسة وتنفيذ حالة علاقة بالمنظر لتنسيق المواقع وعمارة المشهد الطبيعي، تكلفا تعليقه لي أ.م المرحوم مصطفى شوقي (لمدن استعداد ممتاز للتصميم العمراني والإنشاء سكيب)...

وقد بلغني من أخي الأصغر د. إبراهيم مدني أن د. هواس قد قال له في يوم من الأيام (المفروض يكون فيه دراسة أو رسالة عن جدة وأهمية المنافذ المجسمة في الفكر المعماري ضمن رسائل الماجستير أو الدكتوراه) وعليكن نفلا الاعتماد في المرجعية على عصام حفني (لين).

وحين كان رئيسا للجنة تحكيم مسابقة القرية السياحية لمدخل المتوجه على الطريق الصحراوي عام ١٩٩٦ لشاد بما قدمته ليكون مستحقا للجائزة الأولى، إلا أن المسابقة حصل لها ظروف تحول دون تنفيذها قبل التحكيم مباشرة فتم حجب الجائزة.

وبعد هذا لا أكون فخورا أعتز أبدا كما قال عن أخي د. هواس... عليه رحمة الله..

عصام حفني
٢٠٢١/٥/١٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner